** النقـد السياقـي وأعلامـــــــــه**:

الدرس السادس/ الاتجـاه الانطباعـي (التاثـري):

لقد ظهر مصطلح" النقد الانطباعي" في القرن التاسع عشر ميلادي بفرنسا، وإن كانت هذه الظاهرة موغلة في القدم، فإنّ المصطلح ظهر متأخرا، وكان ظهوره طبيعيًا في هذه الحقبة الزمنية التي شهدت تطورا ملموسًا في مختلف المجالات الأدبية والنقدية والفنية عامة، كما مَهَّدت أفكار الناقد**" أرنست رينان"** الذي صرح بأنّ<< الإبداع الفني ما هو إلا ذلك الذي يمثل الجمال الخالد اللانهائي للطبيعة الإنسانية، وأنّ كل شيء يثير الإعجاب والنقد>>، مما جعل الناقد **(جون لوماتر**1853-1914) يستفيد من هذه الأفكار القيمة لاستكمال منهجه النقدي، والذي كان يصدر في نقده عن إيمانه بأننا<< لا نحب المؤلفات الأدبية لأنّها جيدة، بل تبدو جيدة لأنّنا نحبها >>. وبهذا التصور الجديد دخلت "الانطباعية" عالم النقد الأدبي على أنّها نقد ينطلق من **(النفس إلى النفس)**، كما قال الناقد **"سانت بيف"** عن نفسه وكذلك **" أندريه جيد"**، الذي جعل من العملية النقدية اعترافات ذاتية وتعبيرا عن الأفكار الخاصة، أما الناقد **"غوستاف لانسون"** الذي ظل مع انتمائه التاريخي الواضح مؤمنًا بأنّ (الانطباعية) هي المنهج الوحيد الذي يُمكِّنُنا من الإحساس بقوة المؤلفات وجمالها شريطة استخدامها بحذر.

وقد شكل هؤلاء المدرسة الانطباعية، فوضعوا مبادئها وأسسها التي استطاعت بفضلها أن تصمد ردحًا من الزمن أمام العديد من التيارات المقاومة لها، فالنقد عندهم ما هو سوى شخص يبحر في الأثرالأدبي مُتَمتِّعًا مُتلذِّذًا به كاتبًا لمشاعره مسجلا انطباعاته، وأنّ أي عمل أدبي تكمن قيمته في نوعية الانطباعات التي يتركها في نفس القارئ، هذه النفوس المحبة للاطلاع والإبحار في ثنايا المؤلفات فيكون بذلك الانطباع هو الدليل الوحيد على الوجود الحي للعمل الأدبي.

*ـــ وقد خلقت المعركة الأدبية الفنية في باب النقد الانطباعي، ثلاثة مناهج:

أ/ المنهج التأثري الذاتي: وهو المنهج الذي تبنته الطائفة التي طالبت بالتجديد عن طريق ربط الإبداع الأدبي بالشعور الداخلي أو الواقع النفسي للأديب. وهي شديدة التعصب للذاتية(ذاتية الأديب)، أي الرجوع الدائم إلى ذاتية الأديب في محاكمة الإبداع الأدبي، ويكون الحكم فيه بالجودة أو الرداءة انطلاقًا من قوة أو ضعف صلته بالأديب.

ب/ المنهج التأثري الواقعي: تبنت هذا المنهج طائفة، وطالبت بالتجديد عن طريق ربط الإبداع الأدبي بالواقع الخارجي أو الاجتماعي للأديب، أي معناه خروجه عن الذاتية المغلقة واندفاعه في أحضان**" الغيرية " الاجتماعية**، وقد يرجع سرّ ذلك إلى اعتناق أنصاره للفلسفة الاجتماعية.

ج/ **المنهج التأثري الجمالي:** طالبت طائفة هذا المنهج بأن ينطلق التجديد من محاولة ربط الإبداع الأدبي بصاحبه وبظروفه الاجتماعية دون أن يؤدي ذلك الارتباط إلى إهمال فنية الإبداع الأدبي وجماليته.

*ـــ ويمكن استخلاص أهم خصائص الاتجاه الانطباعي في النقد:

1- محاربة القواعد العلمية البحتة والمعايير النقدية الأكاديمية والانتصار للذوق الفردي الذاتي.

2- المبالغة في استحسان النصوص أو استهجانها على السواء جاعلا من حالته المزاجية معيارا نقديًا له.

3- الإكثار من استعمال اللغة الإنشائية التي يطغى عليها ضمير المفرد المتكلم (أنا) والأساليب الانفعالية.

4- العدول عن النصوص المدروسة إلى فضاءات الذات الشخصية للناقد التي يتحدث بها عن حياته الخاصة وما ولّدت فيه هذه النصوص من ذكريات.

فقد انتقلت الانطباعية بتسميات مختلفة إلى النقد العربي الحديث،(كالمنهج الذاتي أو الذوقي، أو الانفعالي أو التأثري أو الجمالي...)، وقد أجمع الكثير من النقاد على أنّ (طه حسين 1889-1973) هو زعيم النقد الانطباعي وحتى وهو في عزّ الْتِحامِه" التاريخي" بالنص الأدبي. كما شاركه في تبني هذا المنهج التأثري دون منازع (محمد مندور1907-1965) الذي شكلت الانطباعية في مؤلفاته الثابت النقدي الكبير، ومن كتبه المعروفة(في الأدب والنقد) و(في الميزان الجديد)، وكتابه(معارك أدبية) وترجمته لكتاب(منهج البحث في الأدب واللغة) للأستاذين "لانسون"و"مايبه".

أمّا في الجزائر: تحتل الانطباعية رقعة شاسعة على الخريطة النقدية الجزائرية، فإنّ جلّ الكتابات النقدية تحفل بمقدمات وبإشارات من هذا النوع، وعلى سبيل المثال لا الحصر:

- أحمد منور: قراءات في القصة الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر1981، ص14.
- الطاهر يحياوي ومحمد توامي: شعراء وملامح، ط1، مطبعة أومزيان، الجزائر1984، ص05.
- مخلوف عامر: تجارب قصيرة وقضايا كبيرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1954، ص08.
- الطاهر يحياوي: البعد الفني والفكري عند الشاعر مصطفى الغماري المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر1983 ص39

*ــ أمّا الدكتور "عبد الملك مرتاض" فقد مارس النقد الانطباعي في بداية حياته النقدية خصوصًا في أول كتبه (القصة في الأدب العربي القديم) و(نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر)، لكن سرعان ما حاد عنه، لأنّه لم يعد يستجيب لرؤيته المنهجية الجديدة.